مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد السابع ،العدد الرابع ، ماي 2022 ص - ص:899.-909

الإشعاع الفكري لعلماء قلعة بني حمّاد من خلال كتب التراجم

The intellectual radiance of the scholars of Qal'aa Beni Hammad through the books of Biographies of Men

د. سعيداني لخضر (*)
جامعة أحمد بن يحي الونشريسي،تيسمسيلت، (الجزائر)،wancharissi@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 02 /2021/05 تاريخ القبول:16 /2021/10 تاريخ النشر: 11 /2022/05

الملخص: يعالج هذا المقال الإسهام العلمي والفكري لعلماء قلعة بني حماد الشهيرة بالمغرب الأوسط، وهي العاصمة التي عرفت نهضة علمية خلال عهد الدولة الحمادية، الأمر الذي ساعد على ظهور نخبة من الفقهاء والعلماء الذين ذاع صيتهم في مختلف مناطق الغرب الإسلامي، وهو ما نحاول رصده من خلال الوقوف على أهم الشخصيات التي اشتهرت بها قلعة بني حماد، وذلك من خلال كتب التراجم.

الكلمات الدالة: الفقهاء، الدولة الحمادية، قلعة بني حمّاد، المغرب الإسلامي، كتب التراجم

Abstrac: This article deals with the scientific and intellectual contribution of scholars of Qal'aa of Banû Hammad in the Central Maghreb, which is the capital that witnessed a scientific renaissance during the era of the Hammadid state, which helped the emergence of an elite of jurists and scholars who spread their reputation in various regions of the Islamic West, which we are trying to monitor by standing On the most important personalities for which the Qal'aa of Banû Hammad was famous, through Biographies of Men

Keywords: The faqihs, Hammadid state, Qal'aa of Banû Hammad, Islamic Maghreb, Biographies of Men

1– مقدّمة: تعتبر الدولة الحمادية من أهم الكيانات السياسة التي خلّفت تراثا مهما في كافة المجالات، ولذلك كانت محل اهتمام من طرف المؤرخين والباحثين، وذلك لوجود مادة معرفية مهمة خاصة بالفترة التي شغلتها هذه الدولة، ويعدّ المجال الفكري من أهم المواضيع التي

*المؤلف المرسل.

تستهوي المؤرخين نظرا لأهميته في إيضاح مستوى الحياة العقلية التي شهدتها الدولة الحمادية، ولذلك نستعرض في هذا المقال تراجم لبعض علماء قلعة بني حماد للدلالة على المستوى الراقي الذي عرفته القلعة من خلال إبراز المجهود الفكري لأعلامها الذين خلفوا تراثا مهما.

2- قلعة بني حمّاد في المصادر الجغرافية:

كانت قلعة بني حمّاد محورا للطرق التجارية في المغرب الإسلامي، كما كانت محطة مهمة للقوافل التجارية ولذلك ورد ذكرها في بعض المصادر الجغرافية حيث وصفها البكري فقال".. قلعة كبيرة ذات منعة وحصانة وتمصرت عند خراب القيروان، انتقل إليها أكثر أهل افريقية وهي اليوم مقصد التجار وبها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام.. وهي اليوم مقر مملكة صنهاجة، وبهذه القلعة كان احتصن أبو يزيد مخلد ابن كيداد من اسماعيل.."[1].

أما الحميري فقد ذكر بشأنها ".. قلعة أبي طويل، بينها وبين المسيلة اثنا عشر ميلا وهي من أكبر البلاد قطرا وأكثرها خلقا وأغزرها خيرا وأوسعها أموالا وأحسنها قصورا ومساكن وأعمّها فواكه وخصبا، وحنطتها رخيصة ولحومها طيبة سمينة، وهي في سند جبل سام صعب المرتقى وقد استدار سورها بجميع الجبل.. وبين هذه القلعة وبين بجاية مسيرة أربعة أيام[2]، وقد تحضّرت عند خراب القيروان وانتقل إليها أكثر أهل افريقية وكانت مقصد التجار وبها تحل الرحال من العراق والحجاز والشام ومصر وسائر بلاد المغرب.."[3]

أما صاحب الاستبصار فيقول بشأنها ".. مدينة عظيمة أزلية على نظر عظيم كثيرة الزرع وجميع الخيرات وهي في جبل عظيم وهي حصينة منيعة لا تمكن بقتال وكانت دار مملكة بني حماد من صنهاجة.. ولبني حماد بالقلعة مبان عظيمة وقصور منيعة متقنة البناء عالية السناء منها قصر يسمى بدار البحر.."[4].

3- علماء قلعة بني حمّاد وجهودهم الفكرية:

رغم التطورات السياسية التي عرفتها الدولة الحمادية، وما صاحب ذلك من تأثيرات على الأوضاع في المغرب الأوسط، إلا أن الحياة الفكرية كانت على موعد مع تفريخ العلماء والفقهاء الذيم تفرقوا في الأقطار، وتتفرق سيرهم في كتب المناقب والتراجم، ومن أهمّهم:

أ- أبو الفضل يوسف بن مُحَمَّد ابن النحوي(تـ 513هـ/ 1119 م)[5]

هو يوسف بن مُحَمَّد بن يوسف يكنى أبا الفضل، من قلعة حمّاد وأصله من توزر، ودخل سجلماسة ومدينة فاس، ثم عاد إلى القلعة وأخذ عن أبي عبد الله المازري، وأبي زكريا الشقراطيسي وعن عبد الجليل الربعي، كما أخذ صحيح البخاري عن اللخمي، كما كان عارفا بأصول الدين والفقه مائلا إلى النظر والاجتهاد[6]، ومن تلاميذه مُحَمَّد بن علي المعروف بابن الرمامة وموسى بن حماد الصنهاجي، وكان ممن انتصر لعدم إحراق الإحياء للغزالي، كما عرف بكراماته المتعددة، ومن نظمه في فاس:

يا فاس منك جميع الحسن مسترق وساكنوك أهنيهم بما رزقوا

هاذا نسيمك أم روح لراحتنا وماؤك السلسل الصافي أم الورق

أرض تخللها الأنهار داخلها حتى المجالس والأسواق والطرق

وقد عرف ابن النحوي بقصيدة المنفرجة التي كانت محل شروحات مختلفة، والتي مطلعها:

اشتدي أزمة تنفرجي قد آذن ليلك بالبلج[7]

توفي ابن النحوي بقلعة حماد سنة ثلاث عشرة وخمسمائة[8]

ب- علي بن اسماعيل القلعي(تـ 526هـ/1131م)

يعرف بالطميش، شاعر أديب من قلعة بني حمّاد، هاجر إلى القاهرة في عهد الحافظ الفاطمي(524-544هـ)، ومدحه بقصيدة، أورد صاحب الخريدة أبياتا منها[9].

ج- ابن الرمامة(ت 567هـ/ 1171م)

هو مُحَمَّد بن علي بن جعفر بن أحمد بن مُحَمَّد القيسي، من أهل قلعة بني حمّاد، يعرف بابن الرمامة- وقيل لامرأة نسب إليها- هاجر إلى فاس وروى عن أبي الفضل بن النحوي وأخذ عنه وعن أبي إسحاق إبراهيم بن حمّاد وخاله أبي الحسن علي بن طاهر بن محشّوة وأبا حفص التوزري، كما هاجر إلى الأندلس من أجل التجارة وطلب العلم ولقي بعضا من الفقهاء منهم أبو الوليد بن رشد، ثم عاد إلى فاس وتولى قضاءها سنة 536هـ، حيث تميزت فترته بالتشدد على المفسدين وإظهار الحق والعدل وقد كان ابن الرمامة مائلا إلى المذهب الشافعي، كما كان مهتما بكتاب الغزالي المسمى بالبسيط، ومن مؤلفاته: تسهيل المطلب في تحصيل المذهب، وكتاب التفصّي وكتاب التبيين في شرح التلقين، ومختصر نبيل في أصول الفقه وكان مقربا من أمير المؤمنين علي بن يوسف بن تاشفين، كما تصفه المصادر بأنه كان".. حافظا للفقه نظارا فيه بارعا في معرفة أصوله ماهرا في استنباط معانيه، شافعي المذهب[10]، توفي ابن الرمامة بفاس في الحادي والعشرين رجب سنة 567هـ[11].

د- أبو زكريا يحي بن أبي علي المشتهر بالزواوي (ت 611هـ/1214م)

وُصف بالشيخ الفقيه، الصالح العابد، ينسب إلى بني حسن من أقطار بجاية، ولد في بني عيسى من قبائل "زواوة"، وقرأ بقلعة بني حمّاد على الشيخ الصالح أبي عبد الله ابن الخرّاط وغيره ثم ارتحل إلى المشرق، ولقي المشايخ والفقهاء والمتصوفة، وقد درّس الزواوي ببجاية بعد عودته من المشرق واشتهر بالقيام والصيام إضافة إلى كراماته التي لا تحصى، وكان يدرّس علوم الحديث والفقه، ووفاته يوم الجمعة الرابع عشر من رمضان عام أحد عشر وستمائة.[12]

هـ- أبو عبد الله مُحَمَّد بن علي بن حمّاد الصنهاجي(ت 628هـ/1231م)

وصفه الغبريني " بالشيخ الأجل، الفقيه الرئيس الأكمل، العالم الأوحد، يعود في أصله إلى قرية حمزة من حوز قلعة بني حماد، كانت بداية الصنهاجي بالقلعة ثم ببجاية حيث لقي بها

الشيخ أبو مدين الذي سمع عنه كتاب" المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" سنة 531هـ، كما روى الموطأ عن القاضي عبد الحق الأزدي الإشبيلي، وأخذ عن أبو علي المسيلي ومُحَمَّد بن عبد الحق بن سليمان التلمساني.

ويضيف الغبريني أنه رأى " برنامجا" من تأليف الصنهاجي ذكر فيه شيوخه والكتب التي قرأها وقد تجاوزت المائتين، دخل المغرب والأندلس حيث أخذ عن علماء مرسية وإشبيلية، ومن العلوم التي برع فيها علم القرآن وعلم الحديث وعلم الأصول والنحو والأدب والتاريخ وعلوم الرقائق والأذكار، كما تولى الصنهاجي بعض المناصب منها قضاء الجزائر الخضراء وقضاء سلا سنة 613 هـ، ومرسية حيث عرفت فترته بالعدل والحق ومن مؤلفاته، شرح مقصورة ابن دريد، والنبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة بافريقية وبجاية، وأخبار ملوك بني عبيد، كما أنه كان شاعرا وله ديوان نظم ونثر، جزء منه سماه عجالة المودع وعلالة المشيع، وكانت وفاته سنة 628هـ [13].

و- ميمون بن أحمد بن مُحَمَّد القيسي (ت635هـ/ 1237م)

من قلعة بني حمّاد، انتقل إلى قرطبة، ثم دخل مراكش بعد سقوطها إلى أن توفي بها عام 635هـ، كان يحفظ موطأ مالك عن ظهر قلب كما تصف المصادر، ويدرس القرآن الكريم بقرطبة ومراكش[14].

ز- أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أبي بكر المنصور القلعي (ت660هـ/1261م)

كان له علم بالفقه والفرائض علما وعملا وكان له علم بالحساب سبق فيه الأوائل، ولو لقيه الحصار وابن وهب ما أمكنهم إلا الأخذ منه، ولم يكن ببجاية في وقته أحد يريد قراءة هذا العلم إلا قرأه عليه، وكان له مجلس يقرأ عليه " التهذيب" [15]، وكان عالما بأحكام الوثائق والشروط وكان موثق الوقت، توفي ببجاية في عشر الستين وستمائة[16].

ح- أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الله المعافري (ق 7هـ / 13 م)

وصفه الغبريني" بالشيخ الفقيه المقرئ المتقن.. أبو عمرو وقته في علم القراءات.."، درس على يد والده بالقلعة بالجامع الأعظم، ثم رحل إلى بجاية ودرس على يد والده هناك ولازم الشيخ أبي زكريا الزواوي وأبي عبد الله بن حماد، وقد اشتهر ببراعته في الأسانيد حيث وصفه البعض بالاتقان والدراية، وقد درّس بالجامع الأعظم ببجاية، وله مختصر لكتاب" التيسير" لأبي عمرو الداني[17].

ط- أبو عبد الله مُحَمَّد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القلعي(ت 673هـ/ 1274م)

من قلعة بني حماد كان جده قاضيا بها وقد نشأ بالجزائر وانتقل إلى بجاية ودرس على يد علمائها، كان بارعا في علم العربية متحكما في النحو واللغة والأدب، وكان له درس يحضره الطلبة وتجرى فيه المذكرات المختلفة في التفسير والحديث وأبيات الغريب وكان قويا في علم التصريف.. وهو أفضل من لقيت في علم العربية ...واستمتعت به كثيرا[18].

ومن مؤلفاته كتاب" الموضح في علم النحو" و" حدق العيون في تنقيح القانون" و" نشر الخفي في مشكلات أبي علي "، وله نظم في الزهد ومدح الرسول ﷺ، توفي عام 673هـ[19].

ي- عبد الله بن مُحَمَّد بن عمر بن عبادة القلعي (ت 699هـ/ 1299م)

ذكره الغبريني فقال".. كان يدرس بالمسجد الأعظم بالغداة بمجلس القضاة منه وكان حافظا للخلاف العالي والمذهب المالكي .. وحافظا للتاريخ وذاكرا للحديث وكان مشاورا شاهدا بالديوان، كان يدرس الفقه والحديث والرواية وانتهى إلى الزهد في آخر أيامه توفي عام 699هـ وكانت جموع الأمراء في الأمور المجتمع لها لا تنعقد إلا بوجوده.."[20].

ك- أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد المعافري القلعي (ق7هـ/ق13 م).

المعروف بابن الخرّاط كان أحد الثقاة الأثبات الصلحاء الرواة، قرأ بقلعة بني حمّاد ولقي بها عددا من المشايخ مثل أبي الحسن التميمي وأبي الحسن علي بن شكر بن عمر القلعي وأبي عبيد مُحَمَّد بن عبد العزيز بن مُحَمَّد وأبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد المعطى، وقد انتقل إلى بجاية وأقرأ بها وجلس للأستاذية، واشتهر بحسن التلاوة [21]، وكان يحضر إحياءه ليلة سبع وعشرين والي بجاية[22].

ل- عبد الله بن مُحَمَّد بن يحي العبدري

قال ابن الأبار بشأنه ".. من أصل قلعة بني حمّاد.. يكنى أبا مُحَمَّد، يروي عن أبي داود المقرئ، وقد أخذ عنه بجامع القلعة في رجب سنة 519هـ.." [23].

م- إبراهيم بن حماد

من أهل قلعة بني حمّاد، يكنى أبا إسحاق، له رواية عن أبي علي الصدفي، حدّث عنه ابن الرمامة[24].

ن- علي بن مُحَمَّد بن عبد الرحمان التميمي

يكنى أبا الحسن من قلعة بني حمّاد، روى عن أبي مُحَمَّد بن مُحَمَّد التامغلتي، وروى عنه أبو عبد الله بن حماد، كان محدثا حافظا عدلا مسنا حاجا[25].

س- أبو جعفر عمر بن علي بن البذوخ القلعي(ت 585هـ/1179م)

طبيب من قلعة بني حماد، كان خبيرا بالأدوية المفردة والمركبة، إضافة إلى علم الحديث، هاجر إلى دمشق وأقام هناك طويلا حيث افتتح دكانا هناك يعالج فيه من يأتي إليه، وقد توفي بدمشق، وله حواش على كتاب القانون لابن سينا، وشرح الفصول لأبقراط، وشرح كتاب تقدمة المعرفة، وذخيرة الألباء في الباءة، ولطائف الأنوار في الطب[26].

ع- أبو مُحَمَّد عبد الكريم بن عبد الملك، المعروف بابن يبكي (ق7هـ/ق13 م).

وصفه الغبريني".. بالشيخ الفقيه، العالم المتقن، المحصل الجيد.. من أهل قلعة بني حمّاد.." تنسب إليه الرابطة المعروفة باسمه ببجاية، كان معروفا عند الموحدين، وكان ينحو للظاهر.. له وجاهة وعلّو قدر ورفعة في الدين والعلم[27].

4- خاتمة:

يظهر من خلال التراجم السابقة أن القلعة كانت مركزا مهما للحياة الثقافية، وذلك بالنظر إلي الأسماء اللامعة التي ارتبطت بها، كما كانت مركز إشعاع ثقافي في المغرب الأوسط، حيث تعددت المجالات التي برع فيها علماء القلعة، بل وتجاوزت شهرتهم المغرب الأوسط لتصل إلى المشرق والأندلس، وهذا ما يتيح لنا أخذ صورة واضحة حول مساهمة الدولة الحمادية في إثراء التراث الجزائري بشكل عام، مما يستوجب التعمق في دراسة هذه الفترة لتسليط الضوء على الجوانب المجهولة منها.

5. قائمة المراجع:

1 – المصادر:

– **ابن الأبار**: التكملة لكتاب الصلة، ج 1، 2، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995.

– **ابن الزيات التادلي**: التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1984.

– **ابن القاضي**:جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973.

– **ابن قنفذ:**أنس الفقير وعز الحقير، تح: مُحَّد الفاسي وأودلف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965 .

– **ابن مريم التلمساني:** البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان : تح :مُحَّد بن أبي شنب، د م ج، الجزائر، 1986.

– **البكري:** المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، الجزائر، 1857.

– **التنبكتي:** نيل الابتهاج بتطريز الديباج: تح: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ج 1،2، منشورات كلية الدعوة، طرابلس، ط 1، 1989.

– **الحميري:** الروض المعطار في خبر الأقطار، تح:إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط 2. د م.

– **الغبريني:** عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط 2، 1979.

– **مجهول:** كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار، فيينا، 1852.

– **مُحَّد بن مُحَّد المراكشي:** الذيل والتكملة، ج 8، تح: مُحَّد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، د م، 1984.

2– المراجع:

– **عادل نويهض:** معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط2، 1980.

3– المقالات:

– **زهير غادي زاهد:** القصيدة المنفرجة لابن النحوي التوزري، 433-513م، مجلة الذخائر، ع 8، خريف 2001، دار المحجة البيضاء، بيروت.

6. هوامش:

[1] – **البكري**: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، الجزائر، 1857، ص 49

[2] – **الحميري**: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط 2، ص 469

[3] – **الحميري**: نفسه ص 470

[4] – **مجهول**: كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار، فيينا، 1852، صص 55 56

[5] – ينظر بشأنه: **ابن مريم التلمساني**: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان : تح :مُحَّد بن أبي شنب، د م ج، الجزائر، 1986 ص 301، **ابن الزيات التادلي**: التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1984 ص 95، **ابن قنفذ**:أنس الفقير وعز الحقير، تح: مُحَّد الفاسي وأودلف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965 ، ص 108

[6] – **التنبكتي**: نيل الابتهاج بتطريز الديباج: تح: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ج 1،2، منشورات كلية الدعوة، طرابلس، ط1989،1، ص622

[7] – **زهير غادي زاهد**: القصيدة المنفرجة لابن النحوي التوزري، 433-513م، مجلة الذخائر، ع 8، خريف 2001، دار المحجة البيضاء، بيروت، صص 121، 122

[8] – **ابن القاضي**:جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ص 352 353

[9] – **عادل نويهض**: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط2، 1980 صص 204،205

[10] – **مُحَّد بن مُحَّد المراكشي**: الذيل والتكملة، ج 8، تح: مُحَّد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، د م، 1984، ص 326

[11] – **ابن الأبار**: التكملة لكتاب الصلة،تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995، ج 2، ص 158

[12] – **الغبريني**: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط 2، 1979 ، ص ص 127 128

[13] – **الغبريني**: نفس المصدر: صص 218 219 220، وينظر أيضا: **ابن الأبار**: المصدر السابق، ج 2 ، ص 166 167، **مُحَّد بن مُحَّد المراكشي**: المصدر السابق، ص 324

[14] – **مُحَّد بن مُحَّد المراكشي**: المصدر السابق، ص 528

15 – **الغبريني**: المصدر السابق، صص 266

16 – **الغبريني**: المصدر السابق، صص 267

17 – **الغبريني**: المصدر السابق، صص 316

18 – **الغبريني**: المصدر السابق، صص 67 68-

19 – **الغبريني**: المصدر السابق، صص 70 72

20 – **الغبريني**: المصدر السابق، صص 65 66

21 – **الغبريني** : المصدر السابق، صص 133

22 – **الغبريني**: المصدر السابق، صص 134

23 – **ابن الأبار**: المصدر السابق، ج 2، ص 303

24 – **ابن الأبار**: المصدر السابق، ج 1 ص 148

25 – **مُحَمَّد بن مُحَمَّد المراكشي**: المصدر السابق، ص 165

26 – **عادل نويهض**: المرجع السابق، ص 362

27 – **الغبريني**: المصدر السابق، ص 213